كلية التربية للعوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

النقد القديم/المرحلة الثالثة

د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة الرابعة:

نقد النص الأدبي في عهد الخلفاء الراشدين

Literary text criticism in the era of the Rightly Guided caliphs

حذا الشعر في عهد الخلفاء الراشدين حذو ما إنتهجه الرسول الكريم،فقد كان الخلفاء يشجعون الشعر والشعراء ولهم لمسات نقدية وآراء في الشعر سارت نحو النضج والموضوع إلى جانب الفطرة الخالصة والذوق السليم،فقد حرص الخلفاء والصحابة على أن يكون الشعر في خدمة الرسالة الإسلامية المبنية على قيم الدين الجديد وتعاليمه المستترة الى التوحيد والمساواة والتزام مكارم الاخلاق وإتباع الحكمة في بليغ القول.

أبو بكر الصديق ونقد الشعر:

إن خلافة ابي بكر الصديق لم تشهد وقفات كثيرة في هذا المجال وذلك بسبب الحروب وعدم الاستقرار الا ان هناك نظرات لم تخرج عن مالوف النقد في عصر ما قبل الاسلام عدا أن حسا نقديا وذوقا فنيا نجده في مفاضلة ابي بكر الصديق اذ فضل النابغة على غيره من الشعراء وحكم له بانه"احسنهم شعرا واعذبهم بحرا وابعدهم غورا"

إذ أن النابغة في نظره" يستقي معانيه من من معين عذب سائغ فتقبلها النفوس تقبلا حسنا كما انه في معانيه بعيد البعد والغور وانه يظل لايروي فيما يغمض منه حتى يستخرجها استخراجا واضحا" فالمفاضلة عند ابي بكر وغيره من الشعراء جاءت معللة مبنية على حيثيات وأسس اخذت بالحسبان المعاني الشعرية.

وهذا يدل على درايته بالشعر ،وهناك من انشده قول زهير:

والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

قال" هكذا كان رسول الله ،ثم قال اشعر شعرائكم زهير"

الخليفة عمر بن الخطاب ونقد الشعر:

شهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب نوعا من الاستقرار ورسخت الدولة وكان كثير الحفظ للشعر حتى انه" لا يكاد يعرض له امر الا أنشد فيه بيت شعر" ويروى انه قال لابنه عبد الرحمن"احفظ محاسن الشعر يحسن ادبك" وقال"ارووا من الشعر اعفه ومن الحديث احسنه" فالشعر عند عمر هو ذلك الذي يدخل المتعة الى النفس ويحض على مكارم الاخلاق ويلتقي مع تعاليم الدين الاسلامي وقيمه إذ شهد عصره اهتماما بالشعر والنظر فيه وروايته فكان يفاضل بين الشعراء بنفسه وهو استثمار ذلك السلاح في ترسيخ قيم الدين وغرس مكارم الاخلاق ونشر الفضائل فقد كتب الى ابي موسى الاشعري يوصيه بانه يامر" بتعلم الشعر فانه يدل على معاني الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الانساب".

ومن الشواهد التي تدل على خوضه وكثرة حفظه وآرائه النقدية انه قال لوفد غطفان حين وفد عليه"من الذي يقول:

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا نابغة بن ذبيان،وقال من الذي يقول:

فألقيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا:هو النابغة.قال هو أشعر شعرائكم.

اما خلافة عثمان بن عفان فلم تشهد مواقف نقدية بارزة من الشعر سوى بعض الاشارات ومنها استنشد الشعر انه قال في شعر زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وان خالها نخفي على النلس تعلم

أحسن زهير وصدق ولو أن رجلا دخل بيتنا في جوف بيت لتحدث به الناس"

فالصدق الذي اعجب به عثمان بن عفان في بيت زهير يعتمد على الصدق في القول.

علي بن أبي طالب ونقد الشعر:

حفلت خلافة علي بن ابي طالب باحداث مهمة وكان الشعر احد اسلحتها وكان للخليفة نفاذ بصر في الشعر ونقده وروي انه قال" الشعر ميزان القول" أو " الشعر ميزان القوم" ولا ريب في ان تلك المقولة تعطي منزلة كريمة للشعر والشعراء وتبين قيمة الشعر وادراك الخليفة ذلك. وقد سار الخليفة في نهج من سبقه باخضاع الشعر لسلطة القيم الاسلامية وفضائل الحق وقد كان علي عارفا باساليب البلاغة معروفا ببلاغته بارعا في الخطابة وكان يكرم من اجاد من الشعراء.

ومن الروايات التي تؤكد اهتمام علي بالشعر قوله موجها كلامه الى الناس" كل شعرائكم محسن لو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة فهي القول لعلمنا ايهم اسبق الى ذلك وكلهم قد اصاب الذي اراد واحسن فيه وان يكن احد فضلهم ليس به ،قالوا فمن يا امير المؤمنين: فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا اليها معا علمنا من السابق منها ولكن ان لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فانه كان اصحهم بادرة واجودهم نادرة.

واذا انعمنا النظر في النص وجدنا نجا نقديا يسجل في تأريخ النقد الادبي اذ ان تعبير" كل شعرائكم محسن وهو كسر لطوق العصبية غير المرغوب بها في الاسلام" ولا ريب في ان الامام قد حدد اسسا ومعايير للنقد في الغرض الواحد مع توافر الحرية فقد اشترط للجودة " حرية الشاعر سلبا او ايجابا واستقلال ضميره ووجدانه وبعد انفعاله عن الخوف والطمع" فهو وضع بهذه المقولة مبدا مهما لمصطلح المفاضلة بين الشعراء وهو الزمان والغاية والمذهب فعن طريق تقارب الشعراء في هذه الامور يمكن الحكم في ايهم اشعر اذ ان تلك الاسس كان لها اثر في توجيه خط النقد الادبي وتشهد بذلك كتابات الجاحظ.

وهناك اساس آخر ذكره الخليفة في نظرته النقدية التي نستطيع ان نحكم عليها بالنضج اذ ببين صعوبة المفاضلةحتى كانت الثقافة التي عليها الناقد،اذ ان " لكل شاعر عالمه الخاص الذي لا يشارك فيه الاخرون الا بمقدار وكل يخلق صورة لعالمه الخاص بما يناسب قواه الشعرية وقدرته على التعبير عن تلك القوى تعبيرا جميلا موفقا واهم سمات الشاعر العظيم تفرده او اصالته وهذا يعني فيما يعني اختلافه عن الشعراء الاخرين اختلافا ينبع من هذا التفرد والاصالة.